

الذكور غلام اسمه عطية فورس به :

يافاضلاً يجاربه * في البحث بين البريه

وسيداً ذا اباد * بالشكر مني حريه

غيرتني بالعطايا * وكان حسبي عطيه

وله في الغزل والنسيب شعر يدخل الاذن بغير اذن تركناه لعدم

مناسبة موضوعه للجيلة واما نثره فحسبه مقامته الامثال السائرة ومن

طالما عرف علو كعبه في النثر .

✽ ٦ : افول شمس * وفي ضحوة يوم السبت حادي عشر شهر شوال

سنة ١١٧٤ هـ = ١٧٦٠ م انتقل من الدار القانية الى الدار الباقية ودفن في

جوار معروف الكرخي وقد عمر في الدنيا سبعين سنة واعقب من

الاولاد اربعة وهم عبد الرحمن ومحمد سعيد وابراهيم واحمد وكلهم

برعوا في فنون العلم والادب .

كاظم الدجيلي

✽ الطباعة ✽

L'Imprimerie.

٦ . فوائد الطباعة

للطباعة فوائد جليلة، ومنافع عديدة، اذ بها انتشرت العلوم الجديدة، وصار
أفقر العباد في هذا القرن يقنني من الكتب والاسفار ما ليس في امكان اغني
الاغنياء في القرن الثالث عشر والذي قبله ان يقنني عشر معشاره لقله
الكتب وندرة وجودها وغلاء ثمنها في هاليك القرون الغابرة وكثرتها
بواسطة الطباعة في هذا القرن فكم من كتاب جليل كثير النفع عظيم

الفائدة كان في ماسلف في زوايا النسيان قد انتشر اليوم بفضل الطباعة وتناولته
الايدي واستنارت الام بنبراسه، وكم من كتب موسوعات العلوم كانت
في ماسبق باهضة الاثمان، لا يتمكن اقتناؤها الا المثرون والملوك، فكان
الفقير ينجس على رؤيتها ويذوب شوقاً اليها فلا يمكنه شراؤها لقلة ما في
يده، وكم من ارباب الذكاء والدهاء لو كان في ازمانهم من الوسائل التي
تنشر افكارهم وتبث آراءهم بين الامم والشعوب لخدموا المجتمع البشري
خدمة ظهرت فوائدها، واقتطفت ثمراتها، وكم من علماء اعلام واساندة
فخام، وباحثين واطباء وبلغاء وفصحاء وملوك فاتحين، اندرست آثارهم،
وبغابت عنا اخبارهم بضياع دفاترهم ودواوين اخبارهم، لخلو الطباعة في
هاتيك الازمنة الغابرة لتنتشرها بين الاقوام وبقي مجتمعا اليوم محروما من
الوقوف على سيرهم وادبائهم ومدنيتهم الا شيئا طفيفا استخرجه الباحثون
من بين القبور في بلاد الفراعنة، وفي كهوف الجبال في فنيقية وفارس،
ومن بين الخرائب في بابل ونيوى، فما هذه المدنية التي فضلت فيها قرننا
الحاضر القرون الغابرة، وما هذه الكتب المفيدة والاسفار الكبيرة، التي
حوت كل فكر ساهم، وعلم جليل، ورأي ثاقب الاثمة من ثمرات المطابع
وما سر هذه الحياة وعلة هذه المدنية التي ابهرت العقول، بل ما هذه النهضة
الادبية والاجتماعية، والاخلاقية، والسياسية التي نراها كل يوم بين الشعوب
الا وهي نتيجة ذلك المخترع العظيم لذلك الاختراع الجليل .

٢٠ . اختراع فن الطباعة

المشهور ان اول من اخترع فن الطباعة، واذاعه بين الامم والشعوب

هو رجل اسمه غوتنبرغ «Gutenberg» وكان ذلك في اواسط القرن الخامس عشر حينما كانت الافكار ناضجة في اوروبا اي انه اخترعها سنة ١٤٤١م واذاعها سنة ١٤٥٤م بيد ان هذا المخترع العظيم لم يكن يكتفي بطواهر هذا الاختراع ويقنع بما ناله من شعبه من التمجيل والاكرام بل اخذ على نفسه طبع الكتب النفيسة والاسفار العتيقة لينشرها في العالم الاوربي . فكان اول كتاب طبعه التوراة السكريم سنة ١٤٥٦م وكتاب الزبور باللاتينية سنة ١٤٥٧م . ولما ظهرت فوائد الطباعة للعيان اخذت الشعوب الناهضة باقتناء الكتب والاثار الدينية لرخص اثمانها وكانت انكلترة هي السابقة الى نشر الطباعة والكتب في بلادها . ففي السنة التي فيها طبع غوتنبرغ كتاب الزبور دخل فن الطباعة انكلترة على يد احد التجار واول مطبعة انشئت في انكلترة كانت في وستمنستر Westminster سنة ١٤٧٤م وقد كان فن الطباعة في بادئ امره ناقصاً محتاجاً الى اصلاح فارثي رويداً رويداً عملاً بسنة النشوء والارتقاء حتى اذا جاء القرن الثامن عشر اخترع الاستاذ الوئيس سنفيلدر Senefelder الالماني الطبع على الحجر بصورة سهلة فتوسعت بذلك الطباعة وصارت تتناول الكتب الفلسفية والجرائد والمجلات وكتب موسوعات العلوم بعد ان كانت مقصورة على طبع الكتب الدينية والردود والمنشورات التي كانت قائمة بين لوثير مؤسس البروتستانية واشياعه والبابا رئيس الديانة الكاثوليكية واتباعه ، وهكذا انتشرت الطباعة بين الشعوب والاقوام السريعة الخطوات نحو المدنية .

(١) ولد في ماينس من بلاد المانية سنة ١٤٠٠م وتوفي سنة ١٤٦٨ في منتس

فاستنارت الام بمحضارقي الرومان واليونان ووقف العالم الغربي على سرائرها
ودخائلها بعد ان كان لعب بكتبها الزمان وغادرها مطروحة في زوايا الاهمال
حتى اخذ كل فرد يقنئها من غير تكلف وعناء .

٢٣ . الطباعة في بابل واشور

وهنا لا بأس من ان نضيف اقوال البعض الذين انكروا على غوتنبرغ اختراع
فن الطبع وزعموا انه يرثي الى عهد البابليين والاشوريين حينما كانوا يطبعون
ادعيتهم للآلهة على الواح صغيرة من الصلصال مسندلين على ذلك بما عثر عليه
التقايون في خرائب بابل من ديار العراق وفي اشور قرب نينوى من تلك
الالواح التي تؤيد مزاعمهم بيد ان ذلك مردود بان مثل هذا لا يصدق
عليه فن الطبع ولو صدق عليه لجاز لنا ان ننسب فن الطبع الى الام التي
كانت قبل امة الاشوريين والبابليين كالأكديين والسومريين والعيلاميين
الذين وجد الباحثون من آثارهم شيئاً كثيراً كالرقم السمارية والاجر المكتوب
عليها اخبارهم وسير ملوكهم واحوالهم وحروبهم مع اننا لم ننسب ذلك اليهم
ولم نسمع احد اقال بذلك اذ ان فن الطبع غير الكتابة على الاحجار والالواح .
اما وقد رأيت بطلان هذا الرأي فلا بأس من ان نضيف ايضاً اقوال
الناسيين اختراع فن الطباعة الى رجل يدعى فست Fust وذلك سنة
١٤٤١ م اولى آخر يدعى كستر Coster وانه اخترعها سنة ١٤٢٣ م اي
قبل فست بثاني عشرة سنة قلنا ان هذا الرأي مردود ايضاً لانه ان كان
هؤلاء الرجال في عصر واحد فما الذي اقدمهم عن ان يكذبوا غوتنبرغ
ويدعو الاختراع لانفسهم ولو فرضنا ان المخترعين لهذا الفن قد توفوا قبل

ادعاء غوتنبرغ ذلك له «١» ولم يكن وقتئذٍ احد عالمًا بذلك فمن الذي اوصل اليها خبر نسبة اختراع فن الطباعة الى هذين الرجلين ولو سلمنا جدلاً ان المطلعين على الحقيقة ابوا ان يذيعوها اذ انه بما يطلع صفحة تاريخ غوتنبرغ بلطفه سوداء وهو مما كانوا يتحاشونه خوفاً على شرف الرجل فويل نسلم بان اولئك الرواة الذين غضوا نظرهم عن منكر ليس كسائر المنكرات وجريمة باهظة لا يمكن الطعن بهم وبروايتهم او لا تغلو اقوالهم من دسياسة واقراء. كلا ثم كلا: اذاً ان مخترع فن الطباعة هو غوتنبرغ صاحب الراية البيضاء على العالم فلا يجب حينئذٍ ان نجس حقه او نكر عليه سعيه بل يجب ان لا نذكر اسمه الا ومقروناً بالجملة والاحترام فجزاه الله عن العلم خيراً.

١٠ الطباعة في البلاد العثمانية ٢٠

القسطنطينية اسبق البلاد العثمانية الى صناعة الطبع النفيسة وكان سلاطين آل عثمان في بادئ الامر لا ينظرون الى الطباعة بعين الاهتمام والرضى لانهم كانوا يخشون ان تشوه محاسن الكتب الدينية او يعتريها بعض التحريف بواسطة الطبع حتى ان السلطان يازيد خان الثاني نشر منشوراً عالياً سنة ١٤٨٥ م حظر فيه على رعاياه اتخاذ المطبوعات ولما جلس السلطان الغازي سليم خان الاول على سرهري الملك ابد منشوراييه بامر غال اصدره سنة ١٥١٥ م على ان ذلك لم يكن يحول دون انتشار الطباعة في البلاد العثمانية الاموقناً

(١) توفي كتر سنة ١٤٤٠ وتوفي فست في سنة ١٤٦٦

(٢) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل والذي يمدد على مقالة مختصر تاريخ الطباعة

للكاتب البارح حقيقك العظم وتاريخ الطباعة في الشرق للامامة الابولويس شيخو اليسوعي.

واول من سعى بانشاء مطبعة في الاسنانة رجل يهودي عالم كان من ارباب الثروة والجاه منقرّباً من رجال الادارة في العاصمة يدعى اسحق جرسون وكان قصده من ذلك ان ينشر بين اهل ملته الكتب المطبوعة ويغنيهم عن المؤلفات التي لا يحصل عليها الا بالمشقات لقلة وجودها وندرتهما وهرتقي عهد هذه المطبعة الى القرن الخامس عشر وكانت تطبع الكتب العربية بحروف عبرانية وهي على ما يرويه لنا التاريخ اول مطبعة شرقية ادت للآداب العبرية خدمة جليلة مدة ثلاثة قرون.

اما الطباعة بالحروف العربية فقد دخلت الاسنانة لأول مرة على يد محمد جلبي المعروف بـيكرمي سكر وابنه سعيد افندي في عهد السلطان الغازي سليم خان الثالث، وكانا من ذوي المدارك السامية، والههم العالية وكان محمد افندي سفيراً للدولة العلية في باريس فلفت انتظاره المطابع الفرنسية فاراد ان يعف بها الاسنانة فاخذ يستميل اراء كبار رجال العلم والادب الى هذا المشروع الكثير النفع واخرجه الى حيز الوجود وبدهائه واجتهاده اجتذب كبار رجال الدولة واستمال اليه الصدر الاعظم ابراهيم باشا صهر السلطان فايد مشروعه ونصره في مهمته وامده باموال طائلة واصدر بجمعته امراً سامياً يميز له طبع كل الكتب الا الدينية كتفسير والحديث والفقه بيد انه استحصل اخيراً فتوى اجازت له طبع الكتب الدينية ايضاً واليك صورة الاستفتاء بحروفها «واظن ان هذا الاستفتاء هو بشأن جواز الطبع كما يفهم منه» :

«ما قولكم دام فضلكم في ما بقوله زيد ويدعيه عمرو من انه يقدر على

نقش صور كلمات وحروف المؤلفات في العلوم الآلية: القواميس والمنطق والحكمة والفلك وجمعها في قالب وطبعها على الورق واستحصل نسخ كثيرة من هذه الكتب فهل يجوز له ذلك شرعاً افنونا مأجورين « وقد ائقى له بجواز ذلك عبد الله افندي شيخ الاسلام في ذلك الزمان واليك صورة الفتوى :

« ان زيدا الذي برع في صناعة الطبع اذا نقش صحيحاً على الورق فانه يحصل على نسخ كثيرة من غير عناء وتعب وهذا مما يستوجب رخص أثمان الكتب والمؤلفات ومن ثم تتداولها الايدي وبذلك تم الفائدة وتشمل كل طبقات الناس وعليه يجوز شرعاً الطبع على الوجه المذكور ويستحسن تأليف لجنة لتصحیح الكتب المراد نقشها والله اعلم » .

وقد ائفق ان سعيد افندي فتنش على رجل عالم بفن الطباعة ماهر بهذه الصناعة فسمع بشهرة «ابراهيم اغا منفركة» وكان من حراس القصر السلطاني من اهل المجر دان بالاسلام فحادثه على ان يساعده في هذه المهمة فائفق معه فاخذوا بذلان جدتها في تأسيس مطبعة وجلب آلاتها وسكب قوالب حروفها وكان اول كتاب طبعاه ترجمة صحاح الجوهرى سنة ١١٤١ هـ ١٧٢٨ م وكتاب تحفة الكبار في اسفار البحار المسمى بنارنج الحاج خليفة في تلك السنة عينها وتعددت بعد ذلك مطبوعاتها .

ولما توفي «ابراهيم اغا منفركة» اخذت المطبعة في الانحطاط والنزول اذ خلفه في ادارتها ابراهيم افندي من القضاة السابقين الى ان توفي هذا ايضاً فاعتطلت مدة تزيد على ٢٠ سنة ثم فتحت سنة ١١٩٨ هـ ١٧٨٢ م

وطبعت فيها اهم الكتب النفيسة واكثرها لغوية وتاريخية وفنية ولما نجحت هذه المهمة وراى المنورون فوائد الطبع وسهولة اقتناء الكتب بواسطتها انتشرت في سائر البلاد العثمانية وكثرت المطابع فيها ولم يأت القرن التاسع عشر الا وكثرت المطبوعات وتعددت ونمت نمواً باهراً ومن اشهر المطابع العربية في الاسنانة في ذلك القرن مطبعة الجواب وكان لها اليد الطولى على النهضة العربية بمطبوعاتها النادرة .

• المطابع في سورية

اما المطابع في البلاد العربية فدخلت اولاً «لبنان» على يد الراهب الماروني عبد الله خاهر سنة ١١٤١ وكان لها مطبوعات جمّة ليس هنا محل ذكرها ودخلت الطباعة حلب في القرن الثامن عشر واول مطبعة ظهرت فيها على مانع المطبعة الحلبية المارونية سنة ١٨٥٧ م ومنشئها المطران يوسف مطر . وهي باقية حتى الآن وادخل الطباعة الى بيروت الروم الارثوذكس في اواسط القرن الثامن عشر واول مطبعة اسست فيها مطبعة القديس جاورجيوس واول مطبعة ظهرت في الشام المطبعة الخفية وهي التي احضرها من ديار الغرب المرحوم حنا الدوماني سنة ١٢٧٢ هـ ١٨٥٥ م وهي الان متروكة لما اتاها من العراقيل وبليها في القدم مطبعة ولاية سورية انشئت سنة ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٤ م وفيها تطبع جريدة سورية الرسمية واول من ادخل الطباعة الى القدس الآباء الفرنسيون واسسوا مطبعتهم فيها سنة ١٨٤٦ م بمساعدة الامبراطور فرانسوا جوزيف النمساوي . هذا مختصر تاريخ الطباعة بالحروف العربية في ربوع سورية بقي علينا

ان نبحث عن تاريخ الطباعة في ديار العراق التي هي من صميم البلاد العربية وعلى ذلك نبتدى اولاً بتاريخ الطباعة في بغداد لانها قاعدة العراق وقلبه الحقيقي
ابراهيم حلمي

✽ افكار الغربيين نحونا ✽

Une autre Mecque

لا ينكر احد من الذين نور الله بصائرهم بنور الهدى ان للغربيين على الشرقيين يداً بيضاء لا تقوم بشكرها الا لسن . كيف لا ونرى الشرقي المدرب متى حاول كتابة شيء عن الشرق وابنائهم بل عن قطره نفسه لا يقدر ان يفي الموضوع حقه بدون ان يراجع الكتب التي كتبها الا فرنجي في موضوعه ويشرف عليه أتم الاشراف .

والسبب الذي يجعل الشرقي مفقراً الى الغربي هو ما تعود من المبالغة في اكثر الاشياء التي يكتب عنها حتى ان المبالغة فيها ربما جاءت اضعاف الاضعاف . او هو خلوه من استقصاء الاخبار ، وتام ما يتعلق بها .

وبما ان الغربيين قد جملوا على نبد المبالغة . وعلى تحري الحقائق مع البحث والتنقيب عنها بكل سعة وافرغ . تراهم ينكبون لها مشاق يقف دونها الهام المقدم عاجزاً . بل تراهم غير هيايين ولا مبالين بصرف المصاريف الباهظة والمخاطرة بنفوسهم ونفائسهم . وهم مع كل ذلك لا يألون جهداً في السعي وراء خالصاتهم المنشودة .

هذا ومع حرصهم على تدوين الحقائق تراهم يخطئون في بعض ما يكتبون خطأ